سلسلة حكايات قرآنية (٩)

مائِدةُ السَّماءِ

إعداد

ياسر علي نور

obeikandl.com

obeikandl.com

أنزلَ اللهُ من أطعمةِ الجنَّةِ طَعامًا إلى المؤمنينَ المتَّقينَ في الدنيا، من ذلكَ ما كانَ يجدهُ نبيُّ الله زكريَّا ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ عندَ السيِّدةِ مَريمَ، فيسألُهَا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾؟ فتقولُ: ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٣٧]، ومنهَا كذلكَ المائدةُ السَّماويَّةُ التي طلبَهَا الحواريُّونَ من عيسى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ، فأنزلَهَا اللهُ عليهِمْ، وكانَتْ مائدةً عظيمةً عليهَا من أَصنافِ الطعامِ وأنواعهِ مَا لذَّ وطابَ، فأكلُوا منهَا وتمتَّعُوا بهَا.

وفي هذَا الكتابِ نتعرَّفُ على هَذه المُعجِزةِ العَظيمةِ، مُعجزةِ المائدةِ، وكيفَ أنزَلَها اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ على بَني إسرائيلَ تأييدًا وتَصدِيقًا لدعوةِ نبيِّه عِيسى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ.

❊ ❊ ❊

آياتٌ.. ومُعجزاتٌ

أيَّدَ اللهُ نبيَّهُ عيسَى بالعديدِ من الآياتِ والمعجزَاتِ الخَارقةِ، ولعلَّ أوَّلَ مُعجزةٍ كانَتْ في مولدِهِ بغيرِ أبٍ، فكانَتْ ولادتُهُ أشبهَ ما تكونُ بخَلْقِ آدمَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ الذي خلقهُ اللهُ دونَ أبٍ أو أُمٍّ، قالَ تعالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وكانَتِ المعجزةُ الثَّانيةُ في كَلامِهِ ونُطْقِهِ بلسانٍ فَصيحٍ وهوَ ما زالَ في المهدِ رَضيعًا، وذلكَ حينَ ولدتهُ أُمُّه وعادَتْ بهِ إلى قومِهَا، فرمَوْهَا بالفَاحشةِ واتَّهمُوهَا بالزِّنَى، فبرَّأهَا اللهُ عَلى لسانِ هَذا الرَّضيعِ، قالَ تعالَى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا

بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٧ - ٣٣].

وكانَتِ المعجزةُ الثَّالثةُ أنَّ اللهَ علَّمَهُ التَّوراةَ والإنجيلَ وهو صَغيرٌ، وأعطاهُ حُكمًا وعِلْمًا؛ وكانَتِ الرَّابِعةُ أنْ يُصوِّرَ من الطينِ كهيئةِ الطَّيرِ ثُمَّ يَنفخَ فيهِ فيكونَ طيرًا بإذنِ اللهِ؛ والخامسةُ إحياءُ الموتَى بإذنِ اللهِ؛ والسادسةُ شِفاءُ المرضَى عَلى يديهِ، فيردُّ للأَعمى بصرَهُ، ويَشفِي الأبرصَ بإذنِ اللهِ، قالَ تعالَى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

وكانَتِ المعجزةُ السَّابعةُ إخبارَهُ - عَليهِ السَّلامُ - بأمورٍ غَيبيَّةٍ أو غَائبةٍ عن حسِّه، فقَدْ كانَ يُنَبِّئُ صَحابتهُ وتلاميذَهُ بما يأكلونَ وما يُوجدُ في بيوتِهمْ، قالَ تعالَى على لسانِ عِيسَى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وكانَتِ المعجزةُ الثَّامنةُ هي مُعجزةَ المائدةِ، التي ذكرَها اللهُ في القرآنِ، وأنزلَ سُورةً كاملةً باسمِ «المائدةِ»، وهي من السَّبعِ الطِّوالِ، وسُمِّيتْ بذلكَ لذكرِ قصَّةِ المائدةِ فيهَا.

أَنْصَارُ عِيسَى

وبدأَ عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - يدعُو إلى اللهِ بما أيَّدَهُ من مُعجزاتٍ، فكانَ ينتقلُ من قَريةٍ إلى أُخرى، ومِن مَدينةٍ إلى مَدينةٍ، ينشُرُ مَواعظَهُ في كلِّ مكَانٍ ينزلُ فيه؛ في الصحراءِ والجبالِ، وعلى شَاطئِ الأنهارِ والبحارِ، فعرفَهُ النَّاسُ في فلسطينَ، وفيمَا يجاورُهَا من البلادِ.

وكانَ عيسَى يقولُ للنَّاسِ: إنَّ اللهَ أرسلنِي إليكُمْ رَحمَةً لكُمْ، فالعُمي يُبصرونَ، والمرضَى يشفَوْنَ، والعُرجُ يمشونَ بإذنِ اللهِ.

وكانَ يمسحُ عَلى الأعمى فيرتدُّ إليهِ بصرُهُ، وعَلى الأبرصِ فيذهبُ عنهُ برصُهُ، وعَلى الأقرعِ والمريضِ فيُشفَى من مرضِهِ، ويدعُو للأَعرجِ فتعودُ قدمُهُ صَحيحةً ليسَ بها عَرجٌ ولا اعوجَاجٌ.

وكانَ عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - يَأمرُ بالمعروفِ، وينهى عن

المنكرِ، ويقولُ للنَّاسِ: تَعاونُوا على الخيرِ، سَاعِدُوا الفقراءَ والمحتاجينَ، أطعمُوا الجَوْعانَ، لا تكنزُوا الذهبَ والفضَّةَ، يكفِي الواحدَ منكُمْ ثوبٌ واحدٌ، وأعطوا الثوبَ الثَّانيَ للعُريَانِ.

وحذَّرَ عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - النَّاسَ من النِّفاقِ والرِّياءِ والطَّمعِ في مدحِ النَّاسِ، كمَا حذَّرَهُمْ من الطمعِ في ثروةِ العَالمِ، فلا يَنبغِي أنْ يكنِزُوا لِأنفُسِهم كُنوزًا في الأرضِ، ويَجبُ أنْ يهتمُّوا بغذاءِ الروحِ أكثرَ من غِذاءِ البدنِ، ومِن ثَمّ يَنبغِي ألا يَهتمَّ النَّاسُ بأمورِ هَذا العَالمِ، كالمأكلِ والملبسِ، بحيثُ يُسيطرُ عليهِمُ القلقُ والانزعاجُ والشكُّ في رعايةِ اللهِ لهُمْ، فقَدْ وعدَ اللهُ أن يوفِّرَ لعبادِه كلَّ مَا يلزمُ لحياتِهِمْ، فهُوَ الذي خَلقَهُمْ، وهُو الذي يعولُهُمْ ويَرعاهُمْ..

وأمامَ هَذهِ الدَّعوةِ الخَالصةِ آمنَ عددٌ كبيرٌ مِن بني إسرائيلَ بعِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - وعملُوا بمواعظهِ، وأحبَّهُ أصحابُهُ حُبًّا كَبيرًا، والتفُّوا حولَهُ، وذهبُوا معهُ إلى كلِّ مكانٍ ذهبَ إليهِ، وكانُوا يحفظونَ كلامَهُ، ويبلِّغونهُ للنَّاسِ، وكانَ أكثرُ أصدقائِهِ حُبًّا لهُ هم تلاميذَهُ، وكانُوا يُسمَّونَ «الحواريِّينَ»، وكانَ أشهرُهم: يُوحنَّا، ومتَّى، وسَمعانَ، ولُوقَا، ومُرقصَ...

وكانَ عيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ مع الحواريِّينَ يختفونَ عَن أعينِ النَّاسِ، تحت الأشجارِ، وفي بطنِ الجبلِ، يعبدونَ اللهَ، ويتلونَ التوراةَ والإنجيلَ. وكانَ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ يعلمُ أنَّ اليهودَ والحاقدينَ من بني إسرَائيلَ يتربَّصُونَ بهِ وبأتباعِهِ، ويحاولُون القضاءَ عليهِمْ وعَلى دَعوتِهِمْ، فقالَ لأتباعِهِ يَومًا: احذَرُوا النَّاسَ، ستُعذَّبونَ مِن أجلي ومِن أجلِ دينكُمْ، فاصبرُوا، واعلمُوا أنَّ النَّاسَ كالذِّئابِ، وأنتم فيهِمْ مثل الأغنامِ، والذِّئابُ تُطاردُ الأغنامَ، وتنقضُّ عليهَا، وكونُوا عَلى يقينٍ بأنَّ الربَّ يُباركُكُمْ، ويُدافعُ عنكُمْ، إذَا طردَكُمُ النَّاسُ من مَدينةٍ فاذهبُوا إلى أُخرى، موتُوا في سبيلِ اللهِ، الربُّ واحدٌ، والأجلُ محتومٌ، لا زيادةَ فيه ولا نُقصانَ، وأنَا رسُولُ اللهِ إليكُمْ، اذهبُوا إلى النَّاسِ، وادعُوهم إلى اللهِ، وانشرُوا بينهُمُ المحبَّةَ والسَّلَامَ.

فقالَ مُرقصُ: وإذَا هَجَمتِ الذِّئابُ على الغَنم، فماذَا تصنعُ الغنمُ؟

وأدركَ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ مَقصدَ مُرقصَ ومُرادَهُ، فقالَ: إنَّ بني إسرَائيلَ سيمزِّقُونَ أجسامَكُمْ فَقط، أمَّا أرواحُكُمْ فهيَ سَليمةٌ طَاهرةٌ، تحيَا عندَ اللهِ تباركَ وتعالَى.. فانصرفُوا

يدعونَ قومَهم إلى اللهِ، فقابلَ بَنو إسرائيلَ دَعوتَهُمْ بالسبِّ والشَّتمِ والعذابِ، فرجعَ الحواريُّونَ إلى عيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ يشكونَ إليهِ، فقالَ لهُمْ: إنَّ الشَّيطانَ يُحاولُ على الدَّوامِ أنْ يُضلِّلَ النَّاسَ، ويدعُوَهُمْ إلى الكذبِ والشرِّ، ويُعطِّلَ شريعةَ اللهِ، وويلٌ لمن يُضيِّعُ الحقَّ، ويَعصِي اللهَ...

ثُمَّ قال لهم: أيُّها الحواريُّونَ، كُونُوا مثلِي، فإنَّ بيتِيَ المعَابدُ، وعِطريَ الماءُ، وطعامِيَ الجوعُ، وسراجِيَ القمرُ، ولباسِيَ الصُّوفُ، وشعَارِيَ خَوفُ ربِّ العزَّةِ، وجُلسائِيَ الفقراءُ والمرضَى، أُصبحُ وليسَ لي شَيءٌ، وأُمسي وليسَ لي شَيءٌ، تَحمَّلُوا يا أصدقائِي العذابَ في سبيلِ اللهِ، واعلمُوا أنَّ اللهَ سَوفَ يرزقُكُمْ كمَا يَرزقُ الطُّيورَ، لا تَحرثُ ولا تَزرعُ ولا تَحصدُ، واللهُ يرزقُهَا ويطعمُهَا. فقالَ الحواريونَ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

صَومُ الحواريِّينَ

ذاتَ يومٍ.. أرادَ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أنْ يُبيِّنَ للحواريِّينَ أنَّ الاجتهادَ على النفسِ بالعبادةِ والطاعةِ هو الطَّريقُ إلى

مَرضاةِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، فالدَّاعي إلى اللهِ ـ تباركَ وتعالَى ـ لابدَّ أنْ يكونَ قُدوةً حسنةً لمَنْ يَدعُوهم إلى اللهِ، ويكلِّفَ نفسَهُ بالأعمالِ الشَّاقّةِ، ثُمَّ يُحرِّضَ الآخَرينَ على هذه الأعمالِ التي فيهَا رِضَا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

وقَدْ فرضَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ الصيامَ على الأُممِ السَّابقةِ، وأوحى إلى عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أنْ يصومَ هوَ ومَنْ آمنَ معهُ شَهرًا قمريًّا كاملًا، ثلاثينَ يَومًا، فهذَا من الطَّاعةِ التي يَتقرَّبُ بهَا الإنسانُ المؤمنُ إلى اللهِ، فوجدَ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أنَّ في هَذا الأمر فُرصةً طيِّبةً ليزدادَ هو والحواريونَ طاعةً للهِ، فإنَّ الصيامَ بهِ مشقَّةٌ تَعبُّدِيَّةٌ كَبيرةٌ، كمَا أنَّهُ يرقِّقُ القلبَ، ويُطهِّرُ النفسَ، ويُعلِّمُ الإنسانَ الرَّحمةَ، لأنَّهُ يَشعرُ في الصومِ بالفقراءِ والمساكينِ والمحتاجينَ، وكيفَ لا، وهُو يَجوعُ مثلَ جُوعِهِمْ، ويَعطشُ مثل عَطشِهِمْ؟ فيعلمُ بذلكَ إلى أيِّ مَدًى يتألَّمُ الفقراءُ من الجُوعِ، فيرحمُهُمْ ويُحسنُ إليهم. كمَا أنَّ الصومَ فيهِ مُراقبةٌ شَديدةٌ للهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، لأنَّهُ عَملٌ خَاصٌّ باللهِ، ليسَ فيه رياءٌ ولا سُمعةٌ، ولا رقيبَ على المرءِ إلا الله ـ تباركَ وتعالَى ـ.

فجَمَعَ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ الحَوارِيِّينَ، وأخبرَهم بأمرِ

اللهِ - عزَّ وجلَّ -، وطلبَ منهُمْ صِيامَ ثلاثينَ يَومًا بالتَّمامِ والكمالِ، فامتثلَ الحواريونَ لأمرِ اللهِ، ونفَّذُوا طلبَ نبيِّهم عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ -، وبَدَؤُوا صِيامَ ذلكَ الشهرِ المطلُوبِ، وتلكَ المدَّةِ المحدَّدةِ، وظلُّوا عَلى ذلكَ حتَّى انتهى الوقتُ المعلومُ، فأتمُّوا صِيامَ الثلاثينَ يَومًا على خيرِ وجهٍ طَاعةً للهِ - عزَّ وجلَّ - ورسولِهِ عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ -.

طَلَبُ المَائِدَةِ

لمَّا انتَهتْ مُدَّةُ الصِّيامِ، طلبَ الحواريُّونَ من عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - أنْ يُنزِّلَ مَائدةً من السَّماءِ عليهِمْ، مَائدةً عظيمةً عليهَا ما لذَّ وطابَ من الأطعمةِ والأشربةِ.

وكانَ عِيسَى يعلمُ أنَّ طَلَبَ المعجزاتِ أو الآياتِ أمرٌ شَديدٌ وعَظيمٌ، لأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - إذَا نَفَّذَ لهُمْ ما يُريدونَ فلا بدَّ أنْ يُؤمنُوا بهِ الإيمانَ المطلوبَ، وينفِّذُوا كلَّ ما يأمُرُهُم به بعدَ ذلكَ، وقَدْ لا يستطيعونَ ذلكَ، وبالتَّالِي يكُونُ عذابُهُمْ شَديدًا وأَليمًا، فمِنَ الأفضلِ أن يكفُّوا عن طلبِ الآياتِ والمعجزاتِ.

وحَاولَ عِيسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - أنْ يُقنِعَهُمْ بهذَا الأمرِ،

ووعظَهُمْ في ذلكَ، وخافَ عليهِمْ ألَّا يقومُوا بشكرِهَا، ولا يُؤدُّوا حقَّ شُروطِهَا، ولكنَّهُمْ لَمْ يتَّعِظُوا بذلكَ، ولم يمتنِعُوا أو يكفُّوا عَن طَلبِهِمْ، ورَفَضُوا أنْ يَسمَعُوا لهُ، وأبَوْا عليهِ إلا أنْ يَسألَ لهُمْ ذلكَ مِن رَبِّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ويَستَجيبَ لما أَرادُوا، وأكَّدوا لهُ أنَّهم يُريدُونَ تلكَ المائِدةَ ليزدَادُوا إيمانًا ويَقينًا باللهِ، ويتأكَّدَ عِندَهُمُ التَّصديقُ الكَاملُ برسالةِ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ، كمَا أوضحُوا لهُ أنَّ تلكَ المائِدةَ ليأكُلوا منهَا، وتَطمئِنَّ قُلوبُهم أنَّ اللهَ قَدْ تقبَّلَ صِيَامَهُم وأجابَهُم إلى طَلبِهم، ويَشهدُوا لهُ بالرِّسالةِ والصِّدقِ.

قالَ تَعالَى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٢ ـ ١١٣].

نُزولُ المائدةِ

وأمامَ الإصرارِ الشَّديدِ، والإلحاحِ الكَبيرِ في طَلبِ نُزولِ المائدةِ، لَمْ يَجِدْ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ بُدًّا مِن أنْ يستَجيبَ

لِطَلَبِهِمْ، ويُلبّيَ لهُمْ رَغبَتَهُمْ، فقامَ إلى مُصلَّاه، ولبسَ جِلدًا من شَعرٍ، وهو لُبسُ الزُّهَّادِ والعُبَّادِ، يتواضعُ لابسُهُ للهِ تَواضعًا شَديدًا، ثُمَّ صفَّ بينَ قدميهِ في أدبٍ شديدٍ، وخجلٍ وحَياءٍ كبيرٍ، وظهرَ على وجهِ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ الخوفُ والرَّجاءُ، فأطرقَ رأسَهُ، وأسبلَ عَينَيهِ بالبكاءِ، وارتفَع صَوتُه بالنَّحيبِ والخنينِ، ورفعَ يديهِ إلى السَّماءِ، وتضرَّعَ إلى الله في الدُّعاءِ الطويلِ، والثَّناءِ العَريضِ، والسُّؤالِ المُلِحِّ أنْ يستجيبَ اللهُ لهُمْ، وينفِّذَ لهم ما طلبُوا، ويُعطيَهم مَا أرادوا.. ومَا أنِ انتهَى عيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ من الدعاءِ حتَّى استجابَ اللهُ ـ تباركَ وتعالَى ـ لهُ، فأنزلَ المائدةَ مِنَ السَّماءِ، والنَّاسُ ينظرونَ إليها وهي تَنحدرُ بينَ غمامتينِ، وتَدنُو قليلًا قليلًا في طريقِهَا إلى الأرضِ.

وكانَتِ المائدةُ محاطةً بهالةٍ من نُورٍ، إنَّها ـ بلا شكٍّ ـ مَلائكةُ السماءِ، تحملُ مَائدةَ الرَّحمنِ إلى أهلِ الأرضِ، استجابةً لدعوةِ نَبيِّ اللهِ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ وتَأكيدًا وتَصديقًا على رسالتِهِ النبويَّةِ.. ولمَّا نظرَ عِيسَى إلى المائدةِ، ووجدَهَا تدنُو إلى الأرضِ، رفعَ عِيسَى يديهِ إلى السماءِ، يدعُو ربَّهُ

ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ يجعلَهَا رَحمةً لا نِقمةً، وأنْ يجعلَهَا بركةً وسلامةً.. فلَمْ تَزلِ المائدةُ تدنُو وتدنُو حتَّى استقرَّتْ عَلى الأرضِ أمامَ نبيِّ اللهِ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ، فقامَ يكشفُ عنهَا، ويرفعُ المنديلَ، وهُو يقولُ: «بسمِ اللهِ خيرِ الرَّازقينَ»، فإذَا عَلى المائدةِ خُبزٌ، ولحمٌ، وسَبعةٌ من الحِيتانِ، وخلٌّ، ورُمانٌ، وثِمارٌ، ولهَا رائحةٌ عَظيمةٌ جدًا، أمَرَهَا اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ تكونَ فكانَتْ.

قالَ تعالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٤ ـ ١١٥].

فلمَّا رأى بنُو إسرائيلَ المائدةَ ومَا عليهَا أخذَهم الخوفُ، فأمَرَهم عيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أنْ يتقدَّمُوا ويَأكُلوا منهَا، فقالُوا: لا نَأكُلُ حتَّى تأكلَ أنتَ أوّلًا، فقالَ: إنَّكمُ الذينَ ابتدأتُمُ السؤالَ لها، وأنتُمُ الذينَ طلبتُمُوهَا، وهَا قَدْ نَزلتْ، فكلُوا ما تشاؤُونَ. فرفضُوا، وأبَوْا أنْ يأكلُوا منهَا ابتداءً،

وأصرُّوا أنْ يَأكُلَ هوَ أولًا، وكانَ فيهم جَماعةٌ منَ الفُقراءِ والمحتاجينَ والمساكينِ والمرضَى، فطلبَ منهُمْ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أنْ يتقدَّمُوا، ويأكلُوا قبلَ الأغنياءِ الذينَ رفضُوا الأكلَ ابتداءً، وأخبَرَهُمْ أنَّ في ذلكَ خيرًا لهُمْ، فأطَاعُوه، وكانُوا قَريبًا من أَلفٍ وثَلاثِمئةٍ، فأكلُوا أولًا، فبرِئَ كلُّ مَنْ بهِ عَاهةٌ أو آفةٌ، وشُفيَ كُلُّ مَنْ بهِ مَرضٌ منهُمْ، فعندئذٍ ندمَ الباقونَ الذينَ امتنعُوا عَن الأكلِ أوَّلًا، وأصابَهُمْ حُزنٌ شَديدٌ عَلى تركِ الأكلِ منهَا عندمَا رَأَوْا إصلاحَ حَالِ أُولئِكَ، ثُمَّ أكَلُوا بعدَهُمْ حتَّى شَبعوا، وكانُوا سَبعةَ آلافٍ.

رَفْعُ المَائِدَةِ

ظَلَّتِ المائدةُ تنزلُ على بَنِي إسرائيلَ كلَّ يومٍ، فيأكلُون منهَا جَميعًا، أولُهم وآخرُهم، حتَّى يشبعُوا تمامًا، وأرادُوا أنْ يَدَّخِرُوا منهَا لغدِهِمْ خَوفًا من أنْ تَنقطِعَ عنهُمْ، ولا تَنزلَ بعدَ ذلكَ، فأمَرَهُمْ عِيسَى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ ألَّا يدَّخِرُوا شَيئًا منهَا، ولكنَّهُمْ كانُوا يخُونُون ذلكَ، ويدَّخرُون في بيوتِهِمْ لليومِ التَّالِي، فإذَا أصبحُوا وَجدُوا ما ادَّخرُوهُ قد تعفَّنَ،

وفسدَ، فيرمُونهُ، فلا هُم يَتركونَهُ، ولا هُمْ ينتفعونَ بهِ، ثُمَّ أنزلَ اللهُ المائدةَ يومًا بعدَ يومٍ نتيجةَ غَدرِهِم وخيانتِهِمْ.

ثُمَّ أمرَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - عِيسَى أنْ يَقصُرَ المائدةَ على الفقراءِ والمساكينِ والمحتاجينَ فَقط دُون الأغنياءِ الموسرينَ، فغضبَ كثيرٌ من النَّاسِ، وراحَ المنافقونَ يتحدَّثُونَ بكلامٍ فاحشٍ قَبيحٍ، ويتَّهمونَ اللهَ - عزَّ وجلَّ - بالبُخْلِ، ويقولونَ: يَدُ اللهِ مَغْلولةٌ، فلمَّا فعلُوا ذلكَ رفعَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - المائدةَ تمامًا، ولَمْ تَعُدْ تَنزلُ بعدَ ذلكَ أبدًا، وغضبَ اللهُ عليهِمْ، ولعنَهُمْ، ومسخَ منهُمُ الذينَ تكلَّمُوا في ذلكَ قِرَدةً وخَنازيرَ.

وقَدْ رُويَ عَن النَّبيِّ مُحمَّد ﷺ مَا يُشيرُ إلى ذلكَ، فقالَ ﷺ: «نزلَتِ المائدةُ مِنَ السَّماءِ خُبزٌ ولحمٌ، وأُمروا ألَّا يَخُونُوا ولا يَدَّخِرُوا ولا يَرفَعُوا لغدٍ، فخَانُوا وادَّخرُوا ورَفعُوا، فمُسِخُوا قِردةً وخَنازيرَ» [ابن أبي حاتم].

وهَكذَا كانَتِ المائدةُ مُعجزةً عظيمةً، دلَّتْ على قُدرةِ اللهِ وصدقِ رسَالةِ نبيِّ اللهِ عِيسَى، كمَا كانَتِ ابتلاءً لبني إسرائيلَ، فكفرُوا بهَا، وجَحدُوهَا، فغضبَ اللهُ عليهِمْ ولعَنَهُمْ وأعدَّ لهُمْ عَذابًا أَلِيمًا.